الفلاسفةُ والعلماءُ المنسوبون لمدينةِ البتراء في المصادرِ الكلاسيكيَّة

زياد مهدي السلامين *

https://doi.org/10.35516/jjha.v18i3.1735

ملخص

تتناول هذه الورقةُ مجموعةً من الفلاسفة والعلماء المنسوبين لمدينة البتراء في المصادر التاريخيَّة القديمة، الذين وقفنا على أسمائهم مِمَّن نُسِبوا إلى هذه المدينة، رَغم أنَّهم لم يعيشوا فيها؛ لكونها –فيما نحسب– المدينة التي ولدوا فيها، وهم: چايوس، كالينيكوس، وچينيثيليوس، وإپيفانيوس، وچيسيوس، ودوساريوس البتراوي، وقد تَسَمّى هؤلاء الرواد بأسماء يونانيَّة، وكتبوا أعمالهم التي ضاعت ولم تصلنا باللغة اليونانيَّة أيضًا، وكانوا على درايةٍ بالفلسفة اليونانيَّة ومدارسها ومذاهبها، وكانوا –على ما يبدو–، وباستثناء الطبيب البتراويّ المحترف چيسيوس، من أتباع المذهب السفسطائي. وقد اعتمد البحث على عددٍ من المصادر الرومانيَّة والبيزنطيَّة التي تطرَّقت لهؤلاء الرواد، ومن أبرزها كتاب "سودا" Σοῦδα الموسوعي، الذي يعود للقرن العاشر الميلادي، والمعتمد على مصادر عديدة قديمة، إضافةً إلى غيره من المصادر الأخرى التي تناولت إنجازات هؤلاء الفلاسفة والمفكِّرين وأعمالهم، وتؤكِّد هذه المصادر أنَّ معرفة العرب القدماء بالفلسفة اليونانيَّة كانت مبكِّرةً جدًّا، وأنها تسبق قدوم الإسلام بقرونٍ عديدةٍ، كما تؤكِّد بما لا يدع مجالًا للشكِّ أنَّ العرب القدماء قد اطلعوا، وبشكلٍ مُعمَّقٍ ومستفيضٍ، على المذاهب الفلسفيَّة القديمة المختلفة، وتأثروا بها وألَّفوا فيها الكتب، وكان لهم دورٌ واضحٌ في نشر المذاهب الفلسفيَّة والفكريَّة.

الكلمات الدالة: البتراء في الفترتين الرومانيَّة والبيزنطيَّة، البتراء في المصادر اليونانيَّة، فلاسفة العرب قبل الإسلام، علماء من البتراء، السفسطائيون.

تمهيد

أنجبت الولايات الرومانيَّة العديد من الفلاسفة والأدباء والمفكِّرين، وساهم العديد من أبناء المشرق العربيّ[1] في ازدهار

* كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانيَّة.

تاريخ الاستلام: 2023/9/10، تاريخ القبول: 2023/12/26.

[1] كان لمدن الديكابولس –على سبيل المثال– دورٌ ثقافيٌّ مهمٌّ خلال الفترة الرومانيَّة؛ إذ أنجبت العديد من الفلاسفة والمفكِّرين والشُّعراء، فكان منهم الفيلسوفُ الأبيقوريُّ فيلوديموس (القرن الأول قبل الميلاد)، والفيلسوفُ أنطيوخوس، والكاتبُ ثيودوروس، والشاعرُ المشهورُ ميليجر الجاداريّ (نسبة لجادارا= أم قيس)، الذي عاش في نهاية القرن الثاني وبداية الأول قبل الميلاد، وهو مؤلِّفُ "إكليل الغار"، إضافةً إلى أسباين Aspine من القرن الثالث الميلاديّ الذي كان راعيًا للفلسفة في أثينا، وقنصلًا في روما، وكذلك أوينوماوس Oinomaos الذي ألَّف أعمالًا أبرزها كتاب "معارضة النبوءات"، الذي عرفناه من خلال كتابات المؤرِّخ الكنسيّ يوسيبيوس القيساري (Sartre 2005: 285)، كما نعرف من مدينة جرش الرومانيَّة أسماء عددٍ من المفكِّرين الذين عاشوا آنذاك، ومنهم أريستون Ariston وكيريكوس Kerykos.

©2024م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الحضارة الرومانيَّة، فبَرَزَ منهم الخطباءُ والفلاسفةُ والمفكّرينَ والعلماءُ الذين تنقَّلوا بين العديد من مناطق الإمبراطوريتين الرومانيَّة والبيزنطيَّة؛ إذ يقول المؤرِّخ وعالمُ الآثار الإيطاليّ بيانكي باندينيللي: "إنَّ أكثر الدفعات الثقافيَّة الحيويَّة كانت تأتي غالبًا من مقاطعات الشرق، سواء في الفكر أو الفن، ومنها يأتي أنشط رجال السياسة وأكفأ الموظفين والقادة العسكريين" (البني 1990: 18)، وفي السياق ذاته يذكر شاعرُ الهجاءِ الرومانيُّ المشهورُ جوفينال الذي توفي عام 140م أن نهرَ العاصي السوريَّ قد أصبح يصبُّ في نهر التيبر[2] حاملًا معه لغته وتقاليده وثقافته (Juvenal 2017 *Sat*. III: 58-125)، مؤكِّدًا الوجود والتأثير السوريَّين في روما.

خلَّدت لنا المصادر الرومانيَّة والبيزنطيَّة (اللاتينيَّة واليونانيَّة) أسماء العديد من الفلاسفة والمفكّرين شاميّي المنشأ[3]، الذين ضاعت معظم أعمالهم، وقد جاء هؤلاء الرُّواد من عددٍ من المدن والمراكز الحضاريَّة الشاميَّة[4]، مثل: أفاميا، ودمشق، وحمص، وصور، وبيروت، وعسقلان، وغزَّة، وعكا، وبيسان، ونابلس، وقيساريَّة ،ومدن الديكابولس (المدن العشر)، وغيرها من بلاد العرب، وعدد من أبناء البتراء الذين سنتناولهم بالبحث في هذه الورقة.

أبرز فلاسفة ومفكّري العرب خلال الفترتين الرومانيَّة والبيزنطيَّة

يُجمع المؤرِّخون والباحثون العرب على عدم وجود فلسفة عربيَّة قبل الإسلام، وهذا ما رأيناه عند العديد من الكُتَّاب العرب كالجاحظ (150هـ/767م – 255 هـ / 869م)، وابن صاعد الأندلسي (419 هـ/ 1029م –462 هـ/ 1070)، والشهرستاني (479هـ / 1086م – 548هـ / 1153م) والمقريزي (764 هـ/ 1364 – 845 هـ/ 1442م).

يقول الجاحظُ في كتابه البيان والتبيين: "وكل شيء للعرب فإنَّما هو بديهة وارتجال، وكأنَّه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكرة ولا استعانة، وإنَّما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام" (الجاحظ 2017: 516).

كما تحدَّث القاضي أبو القاسم بن صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأُمم عن العرب قبل الإسلام، وعرَّج بإيجازٍ على بعض معارفهم وعلومهم، وقال في معرض حديثه عن الفلسفة عندهم: "وأمّا علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عزّ شيئًا منه، ولا هيأ طباعهم للعناية به، ولا أعلم أحدًا من صميم العرب شُهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبا محمد الحسن الهمداني" (الأندلسي 1912: 45).

للمزيد، انظر (Luz 2003: 97-107)، وعالم الرياضيات نيكوماخوس Nichomachos، الذي عاش في منتصف القرن الثاني الميلاديّ (Sartre 2005: 287). وهناك كاتبٌ معروفٌ باسم يامبولوس Ἰαμβοῦλος عاش في القرن الثاني قبل الميلاد نُسبت له قصَّةٌ مشهورة باسم "دولة الشمس"، وقد اختلف الباحثون في أصله؛ حيث نسبه بعضُهم إلى بلاد الأنباط رغم عدم وجود ما يؤكِّد ذلك (البكر 1971: 9–12؛ Altheim and Stiehl 1964 vol.1: 83–85)، وقد أورد قصَّتَهُ ديودوروس الصقلي (Diodorus Siculus 1933: 2.55).

[2] هو ثاني أطول نهر في إيطاليا، يبدأ في سلسلة جبال توسكان ويتدفَّقُ جنوبًا لمسافة 405 كم، ويعبرُ النهرَ في نهايته مدينة روما قبل أن يصبَّ في البحر المتوسط.

[3] أنجبت سوريا العديد من الفلاسفة الرواقيّين* من أبرزهم زينون، وكريسيب، وبوسيدينيوس، وبيوئس، وأنتيباتر، وديودوروس. للمزيد، انظر (الشامي 2014–2015: 95–102).

* الرُّواقيَّة فلسفةٌ طبيعيَّة جبريَّة تعتقدُ بوحدة الوجود، وترى أنَّ الهدف من الفكر ليس هو الشعور بالسعادة بل إنَّ السعادة ليست إلّا شعورًا عرضيًّا يصاحب الوصول إلى الحقيقة بعد إعمال الفكر.

[4] كانت في روما مجموعةٌ من الأدباء والفقهاء والعلماء السوريين تُحيط بجوليا دومينا (166–217م)، ومن بين هؤلاء السوريُّ بابنيان (Aemulius Papinianus) ابن عم جوليا، الذي كان مُشَرِّعًا وفيلسوفًا ومن أبرز المشاركين في حلقات جوليا دومينا العلميَّة والفكريَّة (بهنسي 2014: 260–261).

ويؤكِّد الشهرستانيُّ في كتابه الملل والنِّحل أنَّ العرب لم يكن لديهم فلسفة، وأنَّ منهم "حكماء العرب، وهم شرذمة قليلون؛ لأنَّ أكثر حكمهم فلتات الطبع، وخطرات الفكر، وربَّما قالوا بالنبوات" (الشهرستاني 1993: 372).

ويؤيِّد هذا الزعمَ المقريزيُّ في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار قائلًا إنَّ "اسم الفلاسفة" "يطلق أيضًا على العرب بوجه أنقص، وحكمتهم ترجع إلى أفكارهم وإلى ملاحظة طبيعيَّة، ويقرُّون بالنُّبُوّات، وهم أضعفُ الناس في العلوم" (المقريزي 1418هـ ج4: 163).

وفي السياق ذاته، تذكرُ المصادرُ التاريخيَّة اليونانيَّة والرومانيَّة العديد من السفسطائيين العرب الذين لا نعرف مواطنهم الأصليَّة، وأين ولدوا، ولم تنسبهم هذه المصادر لأيَّة منطقةٍ جغرافيَّةٍ أو مدينةٍ محدَّدةٍ، ومن بينهم السفسطائيُّ مايور العربيُّ Μαῖωρ Ἀράβιο الذي عاش في القرن الثالث الميلاديّ، وكتب كتابًا بعنوان "عن المسائل" يقع في ثلاثة عشر جزءًا (Suda 1928-1935: Mu, 46)، والسفسطائيُّ چايانوس العربيّ Γαϊανός الذي عاش خلال فترة حكم الإمبراطورين ماكسيموس وغورديانوس (235–244م)، ودرَّس البلاغة في بيروت، وكتب العديدَ من الكتب التي لم يتبقَ منها شيء، ومنها "عن الإنشاء" الذي يقع في خمسة أجزاء، و"النظام البلاغيّ" و"الخُطَب" (Suda 1928-1935: gamma, 9)، وكذلك فرينيخوس العربيّ Φρύνιχος ὁ Ἀράβιος الذي عاش خلال فترة حكم ماركوس أوريليوس (161–180م) وابنه كومودوس (180–192م)، وألَّف كتابًا بعنوان "الأداة البلاغيَّة"، الذي يقع في ثلاثة وستين مجلَّدًا، وقد أشار إليه فوتيوس بطريرك القسطنطينيَّة في القرن التاسع الميلاديّ (Haase 2011: 19-20).

ومن السفسطائيين العربُ القدماء الآخرين ديوفانتوس العربي Διόφαντος ὁ Ἀράβιος، وهو تلميذُ جوليان ومُعلِّم ليبانيوس (Isaac 2011: 491-492)، وقد ذكره إونابيوس في كتابه "حياة الفلاسفة والسفسطائيين"، ووصفه صاحبُ هذا الكتاب بأنه قد شقَّ طريقه إلى رتبة الأستاذيَّة في البلاغة (Eunapius 1921: Diophantus)، إضافةً إلى دوروس العربيّ[5] Δῶρος الذي كان باحثًا دؤوبًا عن الحقيقة (Suda 1928-1935: delta, 1476) ، ويوسيبيوس العربيّ Εὐσέβιος الذي كان مُنافسًا لأولبيان (Suda 1928-1935: epsilon, 3738).

ومن الشخصيات الأخرى البارزة السفسطائيُّ المعروف هيليودوروس Ἡλιόδωρος، الذي عاش خلال فترة حكم الإمبراطور الرومانيّ سيبتيموس سيڤيروس المتوفى عام 211م والإمبراطور كراكلا (211–217م)، ويوصف هيليودوروس بالعربيّ (Bowersock 1983: 135-136)، ولا نعرف عنه إلّا القليل، ولربَّما كان من البتراء (Shahîd 2006: 547, n. 19) أو إحدى مناطق الولاية العربيَّة التي أسَّسها الرومانُ بعد ضمِّهم لمملكة الأنباط، وهناك من نَسَبَهُ إلى تدمر (Geiger 1994 vol. 19: 225)، ويذكره السفسطائيُّ الإغريقيُّ فيلوستراطوس (170–247م) في كتابه "حياة السفسطائيّين" أنه انتُخِب مدافعًا عن بلاده مع زميلٍ له، وذهب للإمبراطور الرومانيّ كراكلا في عام 213م وقدَّم طلبَهُ ببلاغةٍ ورقيٍ، وأعجب الإمبراطورُ ببلاغته وَمَنَحَهُ وأولادَهُ جميعًا رُتَبًا رفيعة (Philostratus 1921: 2, 32).

ومن الشخصيات الأخرى البارزة چاودنتيوس، الذي نعرفه من خلال شاهد قبره وقبر والديه الذي عُثِرَ عليه في

[5] يقول عنه الفيلسوف الدمشقيّ داماسكيوس إنه "كان ساعيًا حثيثًا خلف الحقيقة، وقد أدرك الفيلسوف إيزيدور أنه كان منغمسًا منذ البداية في فرضيات أرسطو؛ حيث إنها تمثِّلُ أساسيات تعليمه منذ الطفولة، وكونه غير مطَّلع على حكمة أفلاطون الواسعة لم يكن قادرًا بمرور الوقت على السُّمُوّ بفكره إلى مستوى المفاهيم النيِّرة. عندما لاحظ إيزيدور هذا، بدأ بجرِّه تدريجيًّا، وإعداد روحه لمخرِ عبابِ بحر الحقيقة الشاسع، فحرَّر دوروسَ نفسه من دقَّة المشائين المفرطة، التي تركِّزُ على إثبات نقاط محدَّدة، وتحوَّلَ إلى فنِّ الجدليات، التي مرَّرها شخصٌ يدعى روميثيوس بالتزامن مع النار المتَّقدة،؛لتكون التجلي الأنقى للذهن والحكمة، وقد تركَّزت آمال حياته نحو الفلسفة" (داماسكيوس 2016: 143).

حوران، وهو الذي يصفه بـ "چاودنتيوس الحكيم" Γαυδέντιος πινυτός، ويذكر النقش أنَّهُ وصل إلى قمَّة المعرفة، ويبدو أنه قد وُلد في نهاية القرن الثالث وتوفي في نحو عام 380م (Puech 2002: 261-262)، ولا نعرف المدينةَ التي وُلد فيها، وربَّما كان من إحدى المدن التي كانت تحت حكم الأنباط قبل مجيء الرمان، وهناك من ربطه بمُدرِّس بلاغة حمل الاسمَ نفسَهُ كان معاصرًا لليبانيوس، وساعده في تدريس البلاغة في أنطاكية، ويصفه ليبانيوس بأنه كان مُدرِّسًا أمينًا صالحًا، كما يذكر اسمَ ابنه سيلفانوس (Cribiore 2007: 35, 227-228) ، وربَّما يكون فلافيوس چاودنتيوس Φλ(αουίου) Γαυδεντίου الذي ورد اسمه في نقش عُثر عليه في جرش أحدَ أحفاده ويعود لعام 447م، ويصفه النقش بأنَّه كان عَلّامة ورجلَ قضاء (Geiger 1994 vol. 19: 226; Kraeling 1938: 469, n. 275).

الفلاسفة والمفكِّرون والعلماء المنسوبون إلى البتراء

كانت البتراء، على ما يبدو، مركزًا مهمًّا من مراكز النشاط البلاغيّ والفلسفيّ السفسطائيّ في بلاد الشام، واشتغل فيها سفسطائيون ومفكِّرون، وتعايشت فيها أيضًا مدارسُ فلسفيَّة ومجموعاتٌ متعلِّمة ومثقَّفة متنافسة على مدى قرونٍ عديدة (גייגר 1992 مج 66: 53). وتبدو مساهمة البتراء في تطوُّر الحركة العلميَّة والفكريَّة خلال الفترتين الرومانيَّة والبيزنطيَّة واضحةً من خلال نشاط بعض مفكّريها الذين أسهموا مساهمةً فعَّالةً ونشطةً في مجال الدراسات الفلسفيَّة والبلاغيَّة والخطابة وعلم الكلام والطب.

لا تذكر لنا المصادرُ التاريخيَّةُ القديمةُ أيَّةَ معلومات عن الحياة الفكريَّة والثقافيَّة والعلميَّة في البتراء خلال الفترة النبطيَّة (القرن الرابع قبل الميلاد–106م) عندما كانت البتراءُ عاصمةً للمملكة النبطيَّة، ولكن يبدو لنا أنَّها كانت موطنًا لعددٍ من المفكِّرين والفلاسفة الذين ذاع صيتُهم في العالم الغربيّ، وَنَبَغَ عددٌ منهم في صنوف العلم الفلسفيّ والفكريّ المختلفة، ووضعوا المؤلَّفاتِ العديدةَ، وكان لهم دورٌ في ازدهار الحركتين الفلسفيَّة والفكريَّة خصوصًا خلال الفترة التي تبدأ منذ القرن الثالث الميلاديّ وحتى العصر البيزنطيّ الذي يبدأ في منطقتنا باختيار هذه المدينة عاصمةً لولاية فلسطين الثالثة، التي كانت تشمل جنوبيَّ فلسطين وما ضُمَّ إليها من مناطق الولاية العربيَّة القديمة.

وقد ذَكَرَت المصادرُ التاريخيَّة القديمة أسماءَ عددٍ من العلماء والمفكِّرين البتراويّين، ولكن أعمالَهم –للأسف– لم تصلنا؛ إذ ضاعت وَفُقدت، غيرَ أنَّ بعضَ المؤرِّخين أشار إليها بشكلٍ عابرٍ في معرض حديثهم عن الفلاسفة والمفكِّرين القدماء، ونحنُ لا نعرف عن حياتهم وإنجازاتهم العلميَّة والفكريَّة إلا القليل، وقد نُسِبَ هؤلاء المفكِّرون إلى البتراء رغم أنَّهم حملوا أسماء إغريقيَّة، ولم يُسَمّوا بأسماء ساميَّةَ عربيَّة باستثناء الفيلسوف دوساريوس البتراويّ الذي يقابل اسمُهُ اسمَ ذي الشَّرى، وربمَّا حمل البقيَّة أسماء ساميَّة، ثمَّ تَسَمَّوا بأسماء يونانيَّة؛ إذ نعرف أنَّ تقليد حمل الاسمين كان شائعًا في الفترة الرومانيَّة؛ فقد استُخدِمت الأسماءُ اليونانيَّة واللاتينيَّة كشكلٍ من أشكال التقليد للرومان، فالأسماء لا تعُرِّف فقط بالأشخاص وإنَّما هي دليلٌ على التميُّز الاجتماعيّ؛ فهي تضع أصحابَها ضمن مجتمعٍ يشترك أفرادُهُ بالقيم والاهتمامات والممارسات نفسِها، وهي تُعبِّر عن العضويَّة المجتمعيَّة والعلاقات والولاء؛ فقد ينتمي الشخص إلى مجموعاتٍ اجتماعيَّة أو دينيَّة أو ثقافيَّة أو مِهْنِيَّة مختلفةٍ في الوقت نفسِه، وَتُستَخدَمُ تبعًا لذلك أسماءٌ متعدِّدةٌ للتعبير عن هذه الانتماءات الجماعيَّة المتعدِّدة (Broux and Coussement 2014: 120).

ونلاحظ أنَّ معظم هؤلاء الرُّواد البتراويّين من السفسطائيّين، والسفسطائيَّةُ مدرسةٌ فلسفيَّةٌ يونانيَّة بدأت بالظهور في القرن السادس قبل الميلاد، وكان أتباعها بارعين في فنون الجدل والخطابة والبلاغة والحكمة والفلسفة، وقد اشتُقَّت كلمة

سفسطائيّ σοφιστής من كلمة σοφος التي تعني "حكيم"، ويرمز المصطلحُ للرجل الخبير، واستُخدِم للدَّلالة على الإنسان المُلِمّ بمهنته، المزوَّدِ بالكياسةِ في العديد من المجالات، صاحبِ العقل الخلَّاق والذكاء النابغ، وقد امتهن أفرادُ هذه الفئة تعليمَ طرائق الإقناع وتقنيات الجدل والدفاع (ريه 2015 ع 15: 188)، ووَصَفَ أفلاطون السفسطة بأنَّها "فنٌّ جعل الناس أرفعَ كعبًا مما كانوا عليه، فنٌّ أنشأه بشرٌ أرفع" (لالاند 2001 مج3: 1316)، وقد اتَّخَذَ اللفظُ دلالاتٍ مُتدرِّجةً تَعلَّقت في البداية بمعنى التدبُّر والحكمة والتفكُّر ثمَّ اتَّصلت بعد ذلك في الدلالة على التضليل والتمويه والحكمة المزيَّفة والتغرير والمغالطة والتلاعب بالألفاظ، وأصبح بعد أفلاطون وأرسطو يرمز إلى المفارقات والنقائض الناجمة عن الاستدلال العقليّ الفاسد (ريه 2015 ع 15: 192–193).

وقد دَرَسَ معظم العلماء البتراويّين ودَرَّسوا في أثينا والإسكندريَّة اللتين كانتا عبر تاريخهما الطويل موائلَ للحكمة ومحطات ركاب لطلبة العلم، وتكوَّنت فيهما نُخَبٌ من العلماء والمثقفين البارزين الذين كانت لهم الرِّيادةُ كلٌّ في مجاله، وقصدهما الطلاب من كلِّ الأرجاء لينهلوا من صنوف العلم وشتّى أنواع المعرفة.

وتشتملُ قائمة البتراويّين التي نتناولُها هنا بالدراسة والتحليل على عددٍ من السفسطائيّين، ولم تزوِّدنا المصادرُ الآثاريَّةُ والتاريخيَّةُ البتراويَّةُ بأيَّة معلومات عنهم، ونستقي جُلَّ معلوماتنا عنهم من مصادرَ أجنبيَّةٍ خارجيَّة، كما تشتملُ القائمةُ على طبيب بتراويّ الأصلِ اسمُهُ چيسيوس، قضى حياته العمليَّة في الإسكندريَّة، واشتغل هناك في الطبِّ، ولا نعرف هل كان هناك أطباء آخرون مشهورون من البتراء أم لا، كما أنَّنا لا نعرفُ إلّا القليلَ عن الطبِّ فيها عبرَ عصورها الزمنيَّة المختلفة، وذلك من خلال شواهدَ آثاريَّةٍ كتابيَّة محدودةٍ جدًّا، ومن المصادر البتراويَّة التي تتطرَّقُ بشكل عابر إلى الطبِّ نقشٌ نبطيٌّ عُثِرَ عليه في منطقة "أبو علِّيقة" في البتراء، يذكر اسم "سعد الله الطبيب" (Nehmé 2018 vol. 92: 5)، كما أشار فلافيوس جوسيفوس إلى براعة النِّساء العربيات في صناعة السموم، وذلك في معرض حديثه عن تحضير امرأةٍ من النساء المقرَّبات لزوجة الوزير النبطيّ سلي (سيلايوس) السُّموم (Josephus 1926:17.61-63)، كما نستنتج من خلال برديَّة عُثِرَ عليها في البتراء مؤرَّخَةٍ لعام 573م وجودَ مستشفى (بيت رعاية طبيَّة) حملَ اسمَ القديس الشهيد كيرياكوس، ويبدو أنَّ هذا المستشفى، الذي نجهل مكانَهُ حاليًّا، كان مرتبطًا بكنيسة مريم العذراء ومقرِّ الأسقف (Arjava et al. 2018 vol. V: Inv. 6a) ، وَعُثِرَ كذلك داخلَ الدَّير البيزنطيّ الذي كُشِفَ عنه على قمَّة جبل هارون في البتراء على العديد من المقاعد المزوَّدة بوسائدَ حجريَّةٍ ربَّما استخدمت في أوقاتٍ معيَّنةٍ للاستلقاء، وقد يُشيرُ ذلك إلى استخدام هذا الجزء للعلاج، ولا سِيَّما أنَّ هارون كان قدِّيسًا معالجًا؛ مما يوحي بأنَّ الدير كان مركزًا علاجيًّا (Arjava et al. 2018 vol. V: 126).

وقد اعتمدنا عددًا غيرَ قليلٍ من المصادر لإتمام هذه الدراسة، أبرزُها كتابُ "سودا" Σοῦδα الموسوعيُّ، وهو موسوعةٌ بيزنطيَّةٌ معجميَّةٌ مكتوبةٌ بالإغريقيَّة ومرتَّبةٌ حَسَبَ الأحرف الأبجديَّة، وهي منسوبةٌ لشخصٍ اسمُهُ سوداس Σούδας، وتتكوَّن من ثلاثين ألف موضوع قصير (مدخل) عن منطقة حوض البحر المتوسط، ومنسوخةٌ –على ما يبدو– من مصادرَ قديمةٍ معظمُها مفقود، وقد دُوِّنت في القرن العاشر الميلاديّ، كما اعتمدنا أيضًا عددًا منَ المصادر التاريخيَّة الأُخرى القديمة التي عرَّجت على الأعلام والمفكِّرين والفلاسفة السفسطائيّين البتراويّين، ومنهم ميناندر (290–342م) وليبانيوس الأنطاكيّ (314–383م)، وهم (وَفقَ الترتيب الزمنيّ وليس الهجائيّ): چايوس، وكالينيكوس، وچينيثيليوس، وإيپيفانيوس، وچيسيوس، ودوساريوس البتراوي، الذين سَتَقِفُ الدراسةُ عليهم واحدًا تِلوَ الآخر.

چايوس[6]

هو والد السفسطائيّ كالينيكوس البتراويّ الذي سنتحدَّثُ عنه في الجزء الآتي من البحث، وقد ذَكَرَ اسمَهُ صاحِبُ كتاب "سودا" في معرض حديثه عن والده كالينيكوس (Suda 1928-1935: kappa, 231)، ولا نعرف عنه وعن أعماله وكتبه شيئًا، وربَّما يكون هو چايوس أستاذُ البلاغةِ الذي ذكرَهُ استوبايوس Stobaeus وعاش في القرن الخامس الميلاديّ وكتب العديد من الأعمال، منها "إلى لوكليا"، و"ضد مينادرا"، و"ضد أرتيميسوس"، و"أوبريموس"، و"إلى بروتوغونوس بتهمة التسمُّم" و"إلى سيفيروس" (Russell 1983: 13).

كالينيكوس

بَرَزَ كالينيكوس[7] البتراويُّ Καλλίνικος في نهاية القرن الثالث الميلاديّ، وقد سُمِّيَ أيضًا سويتوريوس Σουητώριος وسوكتوري كالينيكي Suctorii videlicet Callinici، ولا نعرف متى وأين وُلِد، وتُجمع المصادرُ التاريخيَّةُ –كما سنرى لاحقًا– على أنه جاء من البتراء، وانتقل إلى أثينا خلال فترة حكم الإمبراطور الرومانيّ چالينوس (260–268م)، وعاد إلى الشَّرق بعد موت هذا الأخير، وزار تدمر، ولا نعرفُ شيئًا عن وفاته، وربَّما توفِّيَ خلال فترة حكم الإمبراطور قسطنطين الكبير (272–337م)، وكان عالمًا وفيلسوفًا سفسطائيًّا ومؤرِّخًا بارزًا، ولسوء الحظ ضاعت جميعُ أعماله، وعرفنا بعضَها من خلال العديد من الإشارات الواردة في المصادر التاريخيَّة (Jacoby Fasc. 7 1999: 322)، وقد ذاع صيتُهُ ولقيت كتاباتُهُ رواجًا كبيرًا، ولا سِيَّما أنه عاش في فترة تميَّزت بندرة الدليل المكتوب عن الخطابة الإغريقيَّة من الناحيتين النظريَّة والتطبيقيَّة (Pernot 2010 tome 123 fasc. 1: 72).

كان كالينيكوس شخصيَّةً بارزةً ومؤثِّرةً ومرموقة؛ إذ نستنتج من خلال الإشارات التي وردت عنه أنَّهُ قد حاور الأباطرةَ وكبارَ المسؤولين الحكوميّين وخاطبَهم، وشارك في الحياة العامَّة، وقد مكَّنَهُ خطابُ المديح والثناء الذي تخصَّص فيه من نقل رسائلَ ذاتِ بُعد سياسيٍّ فيما يتعلَّقُ بالإمبراطور والإمبراطوريَّة الرومانيَّة.

بَرَزَت مسيرةُ كالينيكوس المِهْنِيَّةُ عبرَ نشاطِهِ الفكريّ والفلسفيّ، والتدريسِ والتنافس مع الزملاء، وكتابةِ الخطب والأطروحات البلاغيَّة والفلسفيَّة، إضافةً إلى المساهمات التاريخيَّة. وتوضِّحُ هذه الإنجازاتُ كيف أنه، وفي ذروة الأزمة التي كانت تعيشُها الإمبراطوريَّةُ الرومانيَّةُ في القرن الثالث الميلاديّ، كان هناك مجال للتدريس والثقافة وإلقاء الخطابات شَفويًّا ونشرها كتابيًّا (Pernot 2017: 212).

انتقل كالينيكوس –على ما يبدو– إلى بلاط زنوبيا ملكة تدمر، التي عمدت إلى تعزيز الثقافة اليونانيَّة وكسب العديد من الشخصيّات الثقافيَّة المهمَّة (Watson 1999: 65)، وكرَّس عملَهُ المكوَّنَ من عشرة مجلَّدات عن تاريخ الإسكندريَّة إلى زنوبيا التي غَزَت مصرَ لفترةٍ وجيزةٍ، وأسماها "كليوباترا"، ويبدو أنَّ العنوانَ قد أثلج صدرَها لأنَّها ادَّعت أنَّ نسبَها يعود لكليوباترا والبطالمة (Andrade 2018: 66, 171, 180)، وربَّما تكون هي التي طلبت منه أن يُعنونَ الكتابَ بهذا العنوان المُثير.

---

[6] استخدم الأنباطُ اسمَ چايوس؛ إذ ورد في أحد نقوشهم بصيغة "ج ي س"، وهو الاسمُ المقابل لاسم Gaius اللاتينيّ و Γαιος اليونانيّ (Negev 1991: n. 226) ، ويبدو هنا أنَّ الاسم مُشتقٌّ من كلمة چايا Γαῖα اليونانيَّة التي تعني "أرض" (Montanari 2015: 413).

[7] اسم كالينيكوس يونانيُّ الأصل، وهو مُكوَّنٌ من مقطعين، هما: (كالوس καλός)، الذي يعني "جميل، نبيل، فاضل" (Montanari 2015: 125) و(نيكي νίκη)، التي تعني "نصر، فوز" (Montanari 2015: 1399).

ونجدُ أقدمَ إشارة لكالينيكوس في المصادر التاريخيَّة التي وصلتنا عند الفيلسوف والشاعر وكاتب الدراما اليونانيّ الشهير ميناندر Menander، الذي عاش في أثينا خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين (290–342م)، وذكر اسم كالينيكوس ضمن قائمة أسماء سفسطائيين آخرين مشهورين، منهم: إيليوس اريستيديس (117–181م)، وبوليمون اللاوديكيّ (90–144م)، وأدريان الصوريّ (القرن الثاني الميلاديّ)، كما ذكر لنا أحدَ أعمال كالينيكوس وهو "الخطابُ الجمهوريُّ العظيم" (Heath 2004: 81-82).

واستمرَّت شهرةُ كالينيكوس بعدئذ، فكان أحدَ السفسطائيّين الذين حفَّزت سمعتهُم الطيّبةُ رغبةَ ليبانيوس الشاب للدراسة في أثينا (Heath 2004: 80)، وليبانيوس مُدرِّسُ بلاغةٍ وسفسطائيٌّ إغريقيّ (314–393م)، وقد أوردَ عنه إشاراتٍ عابرةً؛ حيث يقول: "كان لي رفيقٌ كابادوشيٌّ (من الأناضول) اسمُهُ إياسيون...، كان يُخبِرُني إياسيون هذا كلَّ يوم قصصًا كان يسمعها من رجال مسنّين عن أثينا وماذا كان يحدث هناك، كان يتحدَّثُ عن كالينيكوس Καλλινίκου وتليبوليموس والخطابات الرَّنانة لغيرهم من السفسطائيّين" (Martin and Petit 1978: 100)، ويذكر ليبانيوس أنَّ كالينيكوس قد ألَّف كتابًا اسمُهُ "التواريخ"، كما ذكره في موضعٍ آخَرَ؛ حيث يقول: "هناك محطَّةٌ على نهر الفرات اسمُها كالينيكوس، أخذت اسمها من كالينيكوس الذي قُتل هناك" (Förster 1921: X-XI, 19). وكالينيكوس هذه مدينة الرقَّة السوريَّة الواقعة على الضِّفَّة الشرقيَّة لنهر الفرات، ولكن يبدو أنَّ هذا الزَّعم غيرُ صحيح؛ لأنَّ هذه المدينة قد سُمّيَت بهذا الاسم نسبةً للقائد السلوقيّ سلوقس الثاني كالينيكوس (246–225 ق.م) وليس نسبةً للسفسطائيّ البتراويّ كالينيكوس (Jacoby Fasc. 7 1999: 323).

كما ورد اسمُ كالينيكوس في برديَّةٍ توثّقُ انتشارَ كتاباته وأعماله داخلَ المجتمع المصريّ؛ حيث اكتُشفت هذه البرديَّةُ في قرية هرموبوليس المصريَّة عام 1905م، وهي تعود للنصف الأول من القرن الرابع الميلاديّ، وتذكر البرديَّةُ أسماءَ عدد منَ المفكّرين والفلاسفة، من بينهم كالينيكوس، وتتضمَّن اسمَ أحد مصنَّفاته، وهو كتابُ "خطابات مُتنوّعة" (Pernot 2010 tome 123 fasc. 1: 75).

ويذكره الفيلسوفُ فرفوريوس الصُّوريُّ، الذي عاش خلال الفترة ما بين 233م وحتى بداية القرن الرابع الميلاديّ؛ حيث يقول: "ولفهم الجزء الأخير من سفر دانيال لا بُدَّ من الرُّجوع إلى العديد من كتب التاريخ اليونانيَّة، وخصوصًا أعمال كالينيكوس سوكتوريوس Suctorii videlicet Callinici، وديودوروس، وهيرونيموس، وبوليبيوس، وبوسايدينوس، وكلاوديوس، وثيون واندرونيكوس" (Porphyrius: 36)، وقد اقتبس هذه الفقرة نفسَها القديسُ جيروم (إيرونيموس) (327–420م) الذي يذكرُ كالينيكوس ضمن قائمة مؤرّخي الشرق القديم (Glorie 1964: 775).

ونجد معلوماتٍ أكثرَ عن كالينيكوس عند صاحب كتاب "سودا" Σοῦδα الموسوعيّ، الذي يقول إنَّه "ابنُ چايوس Γαΐου، وكان يُلَقَّبُ سويتوريوس Σουητώριος أيضًا، وهو سفسطائيٌّ من سوريا، أو (يقول البعض) الجزيرة العربيَّة، ولكنه في الواقع من البتراء Πετραῖος. كان سفسطائيًّا ودرَّس البلاغة في أثينا، ومن أعماله: إلى لوبوس: عن الذوق السيِّئ للبلاغة، وخطابًا إلى چالينوس، وإلى كليوبترا بخصوص تاريخ الإسكندريَّة (في عشرة مجلَّدات)، ومناهضة المدارس الفلسفيَّة، وحول إحياء روما، إضافةً إلى عددٍ من الخطب والمدائح الأخرى" (Suda 1928-1935: kappa, 231). ويبدو أنه قد ألَّف كتابه إلى چالينوس خلال الفترة ما بين (260–268م)، أما كتابُهُ حول روما فيعود على الأغلب لفترة حكم الإمبراطور أورليان (270–275م) (Heath 2004: 80)، وأما لوبوس الذي كرَّسَ له عملًا بلاغيًّا فهو فيروس لوبوس الذي كان حاكمًا رومانيًّا للولاية السوريَّة الرومانيَّة والولاية العربيَّة، وهناك جَدَلٌ بين الباحثين بشأن

كتاب "خطاب إلى چالينوس"؛ حيث رَجَّحَ بعضُهم أنَّهُ كتاب "الخطاب الجمهوريّ العظيم" نفسُهُ الذي ورد ذكرُهُ عند ليبانيوس (Jacoby Fasc. 7 1999: 324).

كما ذكرَهُ جون الساردِيسيّ John of Sardis من القرن التاسع الميلاديّ ضمن قائمةٍ اشتملت على أسماء عددٍ من السفسطائيّين المميَّزين الذين كانت كتبُهُم متوفِّرَةً للدراسة في ذلك الوقت، ومنها كتابُهُ الموسوم بِـ"الأوصاف (التعابير)" (Heath 2004: 81)، كما عَرَّجَ على أعماله أيضًا العديدُ من الكُتّاب المتأخِّرين، منهم توماس ماجيستروس Thomas Magistros (1275–1347م)، الذي اقتبس بعضَ معلوماته من ليبانيوس (Pernot 2010 tome 123 fasc. 1 2010: 88)، وجوسيف الفيلسوفُ المُسَمَّى راكيندِيتيس Rhakendytês (1260–1330م)، الذي اقتبس معلوماته عن ليبانيوس أيضًا، وذكر لنا أحدَ أعمال كالينيكوس وهو "الخطاب الجمهوريّ العظيم" (Heath 2004: 81-82)، إضافةً إلى إيمانويل كريسولوراس Manuel Chrysoloras (1355–1415م) ،الذي أخذ أيضًا ما كتبَهُ ليبانيوس عن كالينيكوس (Pernot 2010 tome 123 fasc. 1: 88).

چينيثيليوس

چينيثيليوس[8] Γενέθλιος فيلسوفٌ بتراويُّ الأصل عاش أيضًا في القرن الثالث الميلاديّ، ولا نعرف متى وُلِدَ ومتى توفي، والإشاراتُ الواردةُ عنه في المصادر التاريخيَّة محدودةٌ جدًّا، وقد تتلمذ على يدِ السفسطائيّ الأثينيّ مينوكيانوس ابنِ نيكاغوراس[9]، الذي درَّس في أثينا، وعاش خلال فترة حكم الإمبراطور چالينوس، كما تتلمذ على يدِ السفسطائيّ أچابيتوس، الذي لا نعرفُ عنه شيئًا.

ويُعتبَرُ كتابُ "سودا" الجغرافيُّ المصدرَ الأبرزَ الذي يتحدَّثُ عنه، وقد خصَّص له مدخلًا عنه يقولُ فيه: "چينيثيليوس هو ابنُ چينيثليوس، فلسطينيٌّ منَ البتراء Παλαιστῖνος, ἐκ Πετρῶν، سفسطائيّ، وهو تلميذُ مينوكيانوس Μινουκιανοῦ وأچابيتوس Ἀγαπητοῦ. درَّس في أثينا، وكان منافسًا لكالينيكوس الشهير، كان بارعًا بشكلٍ طبيعي، وكان باستطاعته حفظُ خطبةٍ كاملةٍ بمجرَّد سماعها مرَّةً واحدةً فقط. توفي شابًا عن عمر ثمانية وعشرين عامًا، ومن أعماله: المحادثاتُ (أي الخطابات غير الرسميَّة)، والخطاباتُ البلاغيَّةُ (مشتملًا [خطابات] للرُّجل الذي أصدر بيانًا بأن ليس له مدينة بعد أن دُمِّرت مدينةُ طِيَبة)، وخطابٌ وداعيٌّ إلى رفيقَيْهِ دادوخوس وأسكليبياديس، والمدائح" (Suda 1928-1935: gamma, 132). ولا نعرفُ شيئًا عن هذه الأعمال، ويبدو أنَّ دادوخوس وأسكليبياديس هما من تلاميذه الذين درَّسهم، وربَّما كرَّسَ لهما هذا العملَ عَشِيَّةَ مغادرتهما مدرسَتَه (Heath 2004: 79).

وقد ذكرَهُ أيضًا السفسطائيُّ ميناندر من القرن الثالث الميلاديّ، الذي أكَّدَ أنَّهُ عاش في أيام كالينيكوس، وهناك من يرى أنَّ چينيثليوس هو من ألَّفَ أوَّلَ الأعمال المنسوبة للسفسطائيّ ميناندر، وذلك بسبب ورودِ اسمِهِ Γενεθλίου في أوَّل العمل، رَغم أنَّ هذا الأمرَ مشكوكٌ فيه (Heath 2004: 78)، وهناك ما يُشيرُ إلى أنَّهُ قد علَّقَ على جزءٍ من أعمال شخص يُدعى ديموستينيس صاحبِ كتابِ الملاحظات التوضيحيَّة (التفسيريَّة) scholia (Geiger 2013: Appendix D)؛ إذ ورد اسمُهُ عِدَّةَ مرّات في الأجزاء التي وصلتنا من مخطوطات هذا العمل، التي تعود لفترة العصور الوسطى، وهي مأخوذةٌ من بقايا

[8] الاسمُ يونانيُّ الأصل، وهو يقابلُ الكلمةَ اليونانيَّة γενέθλιος، التي تعني "عيد ميلاد" (Montanari 2015: 422).

[9] كتب مينوكيانوس عِدَّةَ أعمال، كما يذكر صاحب كتاب "سودا"، منها: عن فنِّ البلاغة، وبروجيمناسماتا (التدريبات الخطابيَّة الأوليَّة)، وخطابات مُتنوِّعة (Suda, mu. 1087).

تعليقاتٍ كُتبت لاحقًا، ومعتمدةٌ على مصادرَ عِدَّةٍ، منها كتاباتُ ميناندر وزوسيموس، وغيرُهما، ويرد فيها اسمُ چينيثيليوس مقترنًا أحيانًا باسم إيپيفانيوس، ويبدو أنَّ هذه الأجزاءَ مأخوذةٌ من شروحات زوسيموس من القرن الخامس الميلاديّ (Heath 2004: 79)، وَتَرِدُ في إحدى هذه الإشارات العبارةُ الآتية: "يقول چينيثيليوس إنَّهُ منَ الممارسات المعتادة للخطباء، وخاصَّةً ديموستينيس، أن تُعالَجَ المسائلُ الخاضعةُ للجدل كما هو مُتَّفَقٌ عليه" (Heath 2004: 151).

إيپيفانيوس

إيپيفانيوس[10] Ἐπιφάνιος، فيلسوفٌ سفسطائيٌّ وعالمُ بلاغةٍ ذائعُ الصِّيت خلالَ القرن الرابع الميلاديّ، ويذكُرُ صاحبُ كتاب "سودا" أنَّهُ منَ البتراء (Suda 1928-1935: epsilon, 2741)، ولا نعرفُ متى وُلِدَ، وهو على الأغلب السفسطائيُّ إيپيفانيوس الذي ذكرَهُ سقراط سكولاستيكوس القسطنطينيُّ (380–450م) في كتابه التاريخ الكنسيّ، وكان صديقًا حميمًا لأبوليناريوس وابنِهِ مؤسِّسِ الهرطقةِ الأبوليناريَّةِ في اللاذقيَّة؛ إذ طَرَدَهُم ثيودوتس أسقُفُ اللاذقيَّةِ بسبب علاقتهم الحميمةِ معَ "السفسطائي إيپيفانيوس" وخشيَتِهِ من رِدَّتِهم عن دينهم، فمنع اتصالَهُما به (Socrates Scholasticus 2007: XLVI).

كما يبدو أنَّهُ هو نفسُهُ السفسطائيُّ إيپيفانيوس، الذي ذَكَرَهُ المؤرِّخُ سوزومين (400–450م) في كتابه التاريخ الكنسيّ في معرِضِ حديثِهِ عن الهرطقةِ الأبوليناريَّة، التي أشار إليها سقراط سكولاستيكوس؛ إذ يذكُرُ سوزومين أنَّ السفسطائيَّ إيپيفانيوس قد تلا ترنيمة (تسبيحة) كان قد ألَّفَها تكريمًا للإلهِ ديونيسيوس، فذهبَ أبوليناريوس لسماع التلاوة، الذي كان آنذاك شابًّا وتلميذًا لإيپيفانيوس وأبيهِ الذي كان نحويًّا مشهورًا، وهو الأمرُ الذي أدى إلى استياءِ أسقُفِ المدينةِ آنذاك (Sozomen 2018 vol. 12: XXV)، وتؤكِّدُ إشارتا سقراط سكولاستيكوس وسوزومين أنَّ إيپيفانيوس كان وثنيًّا.

وقد يكونُ هو إيپيفانيوس، الذي عَلَّقَ على جزءٍ من أعمال شخصٍ يُدعى ديموستينيس، صاحبُ كتابِ الملاحظات التوضيحيَّة (التفسيريَّة)، الذي أشرنا إليه آنفًا (Geiger 2013: Appendix D)؛ إذ وَرَدَ اسمُهُ مَرَّةً واحدةً في هذا العمل مقترنًا باسمِ چينيثيليوس، وَوُصِفَ بِـ "المُنَظِّر" (Heath 2004: 83).

ولا نعرفُ الكثيرَ عنه، ولكن ما يمكن أن نذكُرَهُ هنا على وجهِ اليقين أنَّهُ كان مشهورًا خلالَ فترة حياة ليبانيوس، رَغم أنَّهُ لم يدرس معه (Geiger 2013: Appendix D)، كما كانَ معاصرًا ومنافسًا للخطيبِ والسفسطائيِّ القيساريِّ الأصل بروهايروسيوس (276–368م)، ولم يَعِشْ كثيرًا هو وزوجتُهُ بل توفِّيَ باكرًا في نحو عامِ 362م بسبب المرض (Smith 2005 vol. II: 40).

وقد ذَكَرَهُ المُؤرِّخُ والفيلسوفُ إونابيوس، الذي عاش في القرن الرابع الميلاديّ، في كتابه "حياة الفلاسفة والسفسطائيّين"؛ إذ يقول عنه: "كان إيپيفانيوس من مواليد سوريا، وكان مشهورًا بمهارته في التمييز وتحديد الموضوعات المُثيرة للجدل، ولكنَّهُ كان خطيبًا متخاذلًا وواهنًا. ومع ذلك، وباعتباره منافسًا لبروهايريسيوس في المهنة السفسطائيَّة، فقد حَقَّقَ شُهرَةً كبيرة...، ولم يَعِشْ إيپيفانيوس كثيرًا ولم يصلْ إلى مرحلةِ الشَّيخوخة، لكنَّهُ مات بسبب تَسَمُّمِ الدم، ولقيت زوجتُهُ أيضًا، التي كانت امرأةً جميلةً للغاية، المصيرَ نفسَه، ولم يتركا أطفالًا، كما أنَّ إيپيفانيوس لم يكن معروفًا شخصيًّا للمؤلف؛ فقد توفي قبل فترة طويلة من إقامته في أثينا" (Eunapius 1921: Epiphanius).

كما أورَدَ صاحبُ كتاب "سودا" إشارةً عنه يقولُ فيها: "هو إيپيفانيوس Ἐπιφάνιος ابنُ أولبيانوس Οὐλπιανοῦ

[10] الاسمُ يونانيُّ الأصل، وهو مُشتَقٌّ من كلمة ἐπιφάνεια، التي تعني "ظهور، تَجَلٍّ" (Montanari 2015: 801).

منَ البتراء Πετραῖος، كان سفسطائيًّا وخطيبًا بليغًا، دَرَّسَ البلاغةَ في البتراء وأثينا، وألَّفَ العديدَ من الأعمال، منها: عن التشابه والاختلاف في المسائل، وبروجيمناسماتا (التدريبات الخطابيَّة الأوليَّة)، والخطابات، وديمارخوس، وبوليمارخيكوس، والخطابات الاحتفاليَّة".(Suda 1928-1935: epsilon, 2741)

چيسيوس

وُلِدَ چيسيوس Γέσιος البتراويُّ Πετραῖος في نحو عام 450م، ومارسَ الطبَّ ودرَّسَهُ في الإسكندريَّة، وتزوَّجَ منَ امرأةٍ فريجيَّةٍ منَ الأناضول وأنجبَ منها العديدَ منَ الأبناء، وبقيَ اسمُهُ شائعًا كطبيبٍ مشهورٍ حتى بعد انتهاء العصرِ العباسيّ (Watts 2009 vol. 49: 131-132; Amato 2010: 449)، وقد عاشَ چيسيوس خلال فترة حُكم الإمبراطور زينون (474–491م)، واستمرَّ في التدريس حتى نحو (530–540م)، وكان طبيبًا مشهورًا تتلمذَ على يدِ كلٍّ من دومينوس وأمونيوس، ولا نعرفُ شيئًا عن دومينوس هذا، ولكنَّ ما نعرفُهُ أنَّهُ قد عَلَّقَ على بعض أعمال أبوقراط (Stern 1980 vol. 2: 679)، أما أمونيوس فهو ابنُ هرمياس (440–521م)، مؤسِّسِ مدرسةِ الإسكندريَّةِ الفلسفيَّةِ المتأخِّرة، دَرَسَ في أثينا على يدِ برقليس ثمَّ رجعَ إلى بلدِهِ ليؤسِّسَ مدرسةً فلسفيَّةً تستكملُ شرحَ تُراثِ الأفلاطونيَّةِ المُحدثةِ وتفسيرَه، وكان له تأثيرٌ في عددٍ منَ الفلاسفة العرب كالكِنديّ والفارابيّ وابنِ سيناء (الزهري 2015: 11، 15–16).

أبدع چيسيوس وتميَّزَ في الحقل الطبيّ، وكان يُدرِّسُ الطبَّ في إحدى المدارس الطبيَّةِ في الإسكندريَّة، التي كانت تُدرِّسُ الطبَّ بأسلوب الطبيب الإغريقيّ چالينوس (129–216م)، ومنها تلك المدرسةُ التي كانت تضمُّ سبعةً منَ الأطباء الذين ذاع صيتُهم آنذاك، وهم: إستيفانوس، وچيسيوس، وثيودوسيوس، وأكيلاوس، وأنكيلاوس،و فلاثيوس، ويوطانس چراماتيكس (يحيى النحويّ)، وكان أنكيلاوس رئيسَ هؤلاء الأطباء السبعة، وقد رَتَّبَ الكتبَ السِّتَّةَ عشرَ لچالينوس التي كانوا يُدرِّسونَها للطلبة، ويعتبرُ تفسيرُ چيسيوس لهذه الكتب الأفضلَ والأجود (الجمّال 1997 ج2: 549).

وُصِفَ چيسيوس في العديد منَ المصادر التاريخيَّة بأنَّهُ إياتروسوفيستيس "ἰατροσοφιστής"، وهو لقبٌ يونانيٌّ قديمٌ أشاروا به إلى الأستاذ في علم الطبِّ، ويعني "الطبيبَ السفسطائيّ" (الزهري 2015: 30)، وكان يُنسَبُ في عددٍ من هذه المصادر للإسكندريَّة، كما سنرى لاحقًا، رَغمَ تأكيد كلٍّ من إستيفانوس البيزنطيّ وداماسكيوس أنَّهُ جاء منَ البتراء (Stephanus 2006 vol. 1: 411-412؛ داماسكيوس 2016: 139–140).

ونجد أوَّلَ ذكر لچيسيوس في رسائل المفكِّر المسيحيّ الأفلاطونيّ المتميِّزِ إينياس الغزاويّ، الذي عاش في القرن الخامس الميلاديّ، فتطرَّقَ له في هذه الرسائل مرَّتين (الرسالة رقم 19 و20)، وذلك في معرِضِ حديثِهِ عن مسائلَ طبيَّة؛ حيث طَلَبَ إينياس المشورَةَ منه في إحدى الرسائل حول مشكلة في الكلى، ولكن چيسيوس –بحسب هذه الرسائل– لم يكن متعاونًا وأهملَ طلبه (Watts 2009 vol. 49: 115-116).

كما ذَكَرَهُ الخطيبُ والسفسطائيُّ بروكوبيوس الغزاويّ (465–528م) في خمسِ رسائلَ مليئةٍ بمديح بروكوبيوس له (Amato 2010: nos. 16, 102, 122, 125, 164)، ويصفُهُ في هذه الرسائل بأنَّهُ رائدٌ اجتماعيٌّ وثقافيّ، وأنَّهُ كان أستاذًا في الطبِّ (Watts 2009 vol. 49: 116-117)، وتقدِّمُ رسالةُ بروكوبيوس رقم 16 إليه دليلًا على إعجابه بالتصميم البلاغيّ لرسائل چيسيوس؛ حيث يُثني بروكوبيوس عليه في هذه الرسالة وبلغة كلاسيكيَّة قائلًا: "بعد أن أمسكتُ برسالتك بين يدي بدا لي أنني استقبلتُ ربَّات الإلهام (الملهمات[11])، وداهمني السرور، ولا أعرفُ ما حدث لي،

[11] كان الإغريق يتضرَّعون لهنَّ طلبًا للإلهام، وكان أبولو يُحيي حفلاتِ الرقصِ والغناءِ في الربيع والصيف مع رَبّات الإلهام التِّسع بناتِ زيوس

تمامًا كما حدثَ عندما صَمَتَ الدلفيّين[12] عند عودة أبولو من عند الشَّعب الهايبربوريانيّ[13]، هكذا كنتُ أنا إذ أُعجِبتُ بكل التفاصيل: أناقة كلماتك، وانسجام الروابط مع بعضها بعضًا، والجمال الذي يظهر في كل جزء، وكانت شخصيَّتُكَ التي برزت في رسالتك أكثر شيء مهم. أتمنى أن تَحدُثَ لك أشياءُ جيِّدَةٌ كثيرةٌ لأنك قدَّمت لنا هذه الوليمة"! (Amato 2010: 305).

كما ذَكَرَهُ المُؤرِّخُ الكنسيُّ زكريا البليغ المعروفُ باسم زكريا الميتلينيّ (465–536م)، في عمله الموسوم بـ"أمونيوس"، وقد دَرَسَ زكريا على يد أمونيوس في الإسكندريَّة فيما بين عامي 485–487م وكتبَ عنهُ كتابًا راجَعَهُ بعد موت أمونيوس وأضافَ إليه حوارًا فلسفيًّا مع چيسيوس الذي يبدو أنه كان أحد تلاميذه، واتَّبع في نقاشه منهج أفلاطون في محاوراته (الزهري 2015: 30)؛ حيث يظهر چيسيوس في هذا الحوار القصصيّ بِوَصفِهِ وثنيًّا مغرورًا، وتعكسُ هذه المحاوراتُ غطرسَتَهُ وَعِنادَهُ الفكريَّ (Watts 2009 vol. 49: 122-123) ، ويؤكِّدُ زكريا أنَّ چيسيوس كان "يتفاخرُ بأنَّ لديه حكمةَ أبوقراط الكوسيّ وچالينوس البيرغامونيّ، وكان له مقرٌّ كمُعلِّم للفلسفة الطبيَّة بالقرب من النيل" (Gertz et al. 2013: 112).

وتطرَّقَ له الفيلسوفُ الدمشقيُّ داماسكيوس[14] المولودُ في دمشقَ عام 458م في كتابه "حياة إيزيدور[15]" أو "التاريخ الفلسفيّ[16]" (Athanassiadi 1999: 128)، ونستنتجُ مما ذكرَهُ زكريا البليغ وداماسكيوس أنَّ چيسيوس قد أصبح أحدَ أبرز الأعضاء المفكِّرين الوثنيّين في المجمع الإسكندرانيّ، ويقولُ عنه داماسكيوس "چيسيوس: طبيبٌ بارزٌ من عهد زينون، جاء منَ البتراء خالعًا أستاذَهُ المباشرَ دومينوس اليهوديّ، مستوليًا على معظم تلاميذه، وقد حصلَ على الشهرة العالميَّة، وكان محترمًا جدًّا ليس فقط بسبب خبرته في كلٍّ من التدريس والممارسة، بل أيضًا بسبب ثقافته العامَّة، وكونه طموحًا وجادًّا في العمل، فقد حَظِيَ على امتداد السنين بمظهرٍ يُوحي بالحكمة، وذلك من خلال الدراسة بأكثر مما هو من خلال الموهبة الطبيعيَّة؛ حيث أنجَزَ في النظريات الطبيَّة وممارستها درجةً أعلى من كلِّ منافسيه في عصره من أطباء باعتباره جاء متأخِّرًا على المهنة، فتقدَّم وتطوَّر فيها بسرعة، وكونه مُدهشًا ومُحبًّا للعظمة، ولم ينجز كثيرًا على صعيد الفلسفة ولكنه أبدع في الطب، وكان هذا مصدر ثروة كبيرة وتشريفات نادرة في الدولة الرومانيَّة. وإنني أُحيي الشجاعة النبيلة في روح هذا الرَّجل الفاضلة؛ فعندما طلبَ زينون هيرايسكيوس[17] خبَّأه في منزله مُعرِّضًا نفسَهُ للخطر، وعندما مرض هيرايسكيوس في منزله ومات دفنَهُ دفنًا لائقًا، فلفَّ جَسَدَهُ وَوَضَّبَ جُثمانَهُ وَفقَ الأعراف" (داماسكيوس 2016: 139–140).

على سفوح جبل هيليكون الكثيرِ الغابات (نيهاردت 1994: 30).

[12] سكانُ مدينة دلفي اليونانيَّة.

[13] كان أبولو يعيشُ في دلفي ربيعًا وصيفًا، وكان ينطلقُ حلولَ الخريف في مركبته إلى بلاد الهايبربوريّين التي لا تعرفُ الشتاء، وهناك يقضي الشتاءَ كُلَّه، ثمَّ يعودُ إلى دلفي بعد أن تتفتَّحَ الأزهارُ لِيَتَنبَّأ للناس بمشيئة زيوس، وحينذاك يحتفلُ هناك بعودة أبولو من بلاد الهايبربوريّين (نيهاردت 1994: 30).

[14] وُلِدَ داماسكيوس (الدمشقيّ) في دمشق، واكتسب اسمَهُ منها، دَرَسَ الخطابة في مدينته، ثمَّ انتقل ليكمل دراستَهُ في الإسكندريَّة، وتنقَّل بين عدد من البلدان، منها بلاد اليونان وبلاد الشام وبلاد فارس، وقد تتلمذ على يديه العديدُ من الفلاسفة (داماسكيوس 2016: مقدِّمة المترجم).

[15] إيزيدور هو معلّم داماسكيوس.

[16] أجزّلُ الشُّكرِ وعظيمُ الامتنان للأستاذ والباحث تيسير خلف، الذي أرسل إلَيَّ نسخةً من ترجمة هذا الكتاب القَيِّم.

[17] هيرايسكيوس أحدُ فلاسفة الإسكندريَّة الأفلاطونيّين المحدثين، يَصِفُهُ داماسكيوس بأنَّهُ مجتهدٌ ويتميَّزُ بالمعرفة الدقيقة، وبأنَّ له طبيعة أشبه بالآلهة (Athanassiadi 1999: 72, 76, 78, 117, 118).

وقد ورد اسمُ چيسيوس مرارًا بعد وفاته، فذكَرَهُ إستيفانوس الأثينيُّ (550–630م) في كتابه "تعليقات على مقولات أبوقراط"، كما جاء اسمُهُ في عملٍ آخَرَ منسوبٍ لصوفرونيوس (نحو 610م) عنوانُهُ "معجزات القديسين سايروس ويوحنا"، الذي يذكر فيه أنَّ چيسيوس قد اكتسبَ شهرةً بِوَصفِهِ سفسطائيًّا متعجرفًا ومتغطرسًا رفيعَ المستوى ضمنَ الأوساط الفكريَّة وبين العامة، وأنَّهُ كان يحظى باحترام كبير (Watts 2009 vol. 49: 124) ، ويؤكِّدُ صوفرونيوس أنَّ چيسيوس على الرَّغم من اعتناقه للمسيحيّة بقي مخلصًا لدينه الوثنيّ القديم، واستمرَّ "في السخرية من المسيحيّين وشعائرهم، فعندما مرض ذهب إلى كنيسة القدّيسين في الإسكندريَّة وصلّى من أجل استعادة صِحَّتِه؛ حيثُ ظهر له القدّيسون وهو نائمٌ في الكنيسة وأمروه بالمشي حولها وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ "أنا أحمق"، ورفض في البداية أن يُنفِّذَ هذا الطلب، ولكنَّهُ أذعن في النهاية وأمتثل لأوامرهم حيث تعافى، وحينها ظهر له القدّيسون مرَّةً أُخرى في حلمه وسألوه: "أين أبوقراط وديموكريتوس وچالينوس الذين كنت تثقُ في قدرتهم على شفائك؟" (Ashkenazi 1996 no. 13: 47-48)

كما ذَكَرَهُ إستيفانوس البيزنطيُّ الذي عاش في القرن السادس الميلاديّ في معجمه الجغرافيّ الموسوم بِـ"الأعراق" (إثنيكا Ἐθνικά)؛ حيث يقول "چيا Γέα مدينةٌ بالقرب من البتراء في بلاد العرب، كما ذَكَرَهُ في كتابه آثار العرب، والنسبة إليها چيوس Γέϊος، والاسم چيسيوس Γέσιος شائعٌ في البتراء، ومن هناك جاء معلِّم الطبِّ الشهير واسمُهُ چيسيوس الذي قد يكون سُمِّي بذلك نسبةً إلى المكان نفسه. وبالنظر في الصيغ اللُّغَوِيَّة القياسيَّة لا بُدَّ أن تكون النسبةُ إليها چياتيس Γεάτης، وربَّما استُخدِمت الصيغة چيسيوس Γεησιος للدلالة على النسبة في فترة أبكر" (Stephanus 2006 vol. 1: 411-412)، وچيا/ چايا المذكورة هنا هي وادي موسى الواقعة عند مدخل مدينة البتراء الأثريَّة (للمزيد عن چايا، يُنظَر السلامين والقنانوة 2021: 55–60).

وقد أشار الباحثُ غريغوري كيسيل Gregory Kessel إلى مخطوطةٍ سريانيَّةٍ كُتبت في نحو عام 705م، كانت في القدس ومحفوظة الآن في سوريا، وهي تحتوي على أجزاء من النسخة السريانيَّة من كتاب الأوبئة لأبوقراط، والنسخة السريانيَّة للأجزاء من السادس إلى الثامن من تعليق چالينوس على كتاب الأوبئة لأبوقراط، ودراسات طبيَّة لعددٍ من الأطباء السريان، وتذكر المخطوطة اسمَ الأستاذ الطبيب چيسيوس ܟܝܣܝܘܣ ܐܣܛܘܩܣܐ وتصفه بأنَّهُ "دائمًا على حق" (Kessel 2012: 94-96, 115).

والراجحُ أنَّ النصَّ يتضمَّنُ ترجمةً سريانيَّة لاحقةً لشروحات چيسيوس وتعليقاته على الجزء السادس من كتاب أبوقراط، ويبدو أنَّ هذه التعليقاتِ كانت مصدرَ كتابة هذا المخطوط؛ لأنَّ اسم چيسيوس مذكور فيه، ولأنَّ هناك ما يُشيرُ إلى وجود نسخة سريانيَّة لتعليقات چيسيوس وشروحاته على كتاب الأوبئة هذا (Kessel 2012: 116-117, 120) ، وقد ترجمَ سيرجيوس الرأسعينيُّ النصَّ من اليونانيَّة إلى السريانيّة، وربَّما كان چيسيوس هو الأستاذُ الذي درَّس سيرجيوس الطبَّ، ولا سِيَّما أنَّ سيرجيوس قد دَرَسَ الطبَّ والفلسفةَ في الإسكندريَّة خلال الفترة 470–490م (Kessel 2012: 116).

وهناك أيضًا مخطوطتان كُتِبَتا في القرن الثامن أو التاسع الميلاديّ، وأُعيد استخدامُهُما في الإسكندريَّة في القرن الحادي عشر، وهما تحتويان إشارةً إلى چالينوس وچيسيوس، وتذكر أحداهُما جزءًا من العنوان هو "لچوسيوس (الكتاب) السادس من الأوبئة" (ܕܟܘܟܪܛ ܕ [ܐܒܝܒ] ܕ ܝܘܣ ܡܝܡܪܚ) (Kessel 2012: 115).

ويذكُرُ صاحبُ كتاب "سودا" أنَّ چيسيوس كان نشيطًا في الإسكندريَّة؛ حيث دَرَّسَ الطبَّ والفلسفة، وكان أحدَ تلاميذ الطبيب دومينوس اليهوديّ، كما يذكُرُ عنه معلوماتٍ يبدو أنَّهُ قد اقتبسها من داماسكيوس التي أوردناها أعلاه؛ حيث يقول

عنه: "خلال عهد زينون[18] احتفل بخبرته الطبيَّة، وهو مواطنٌ من البتراء Πετραῖος τὸ γένο ، ومُعلِّمه دوموس (دومينوس) اليهوديّ، وقد أصبح معروفًا للجميع تقريبًا في كلِّ مكانٍ واكتسب سمعةً طيّبةً، ليس فقط لكفاءته الطبيَّة ومهاراته في التدريس والاجتهاد وإنما أيضًا لثقافته الشاملة في حقولٍ أُخرى، وقد كان رجلًا مُشرّفًا ودؤوبًا، وَحَقَّقَ –إضافةً إلى ذلك، مع الوقت– سمعة طيّبة عن طريق الدراسة وليس بالموهبة الطبيعيَّة. وقد أسَّس منهجًا للممارسات والمذاهب الطبيَّة فاقَ تلك المناهج التي كانت لدى جميع الأطباء والمنظِّرين الطبيّين في عصره. لقد كان بطيئًا في البداية لإظهار معرفته للعامة، لكنَّهُ تقدَّم سريعًا وازدهرَ فيها؛ حيث كان جليلًا وبليغًا وخاضَ قليلًا في الفلسفة، ولكن انخراطه في الطبِّ كان مُعمَّقًا، وبهذه الطريقة حَقَّقَ ثروةً كبيرةً وحصل على مرتبة الشَّرف الإمبراطوريّ التي كانت بعيدةً عن العامَّة. لكنني مقتنعٌ بنزاهة شجاعة روحه؛ لأنَّهُ عندما كان هيرايسكيوس يتعرَّض لاضطهاد الإمبراطور زينون أخفاه في منزله متجاهلًا الخطر، وحتى عندما مرض احتضنه وآواه وقدَّم له الخدماتِ المعتادة" (Suda 1928-1935: gamma, 207).

ولم يقتصر ذكرُهُ على المصادر اليونانيَّة، بل استمرَّ اسمُهُ شائعًا خلال الفترات الإسلاميَّة كأحد أبرز أطباء الإسكندريَّة؛ إذ ورد اسمُهُ مُعرَّبًا في هذه المصادر بصيغتي "جاسيوس" و"جايوس" ونعتته هذه المصادر بالإسكندرانيّ، ومن أوائل من ذكرَهُ منهم حنين بن إسحق (194هـ /810م–260 هـ/ 873م)، الذي يقول إنَّ جاسيوس (چيسيوس) الإسكندرانيَّ قد وضع تفسيرًا للجزء الثاني من كتاب طبيعة الجنين لأبوقراط، والمنسوب خطأً إلى چالينوس (ابن إسحق 1379 هـ: 53).

كما ذكرَهُ ابنُ النديم المتوفى نحو عام 384هـ/ 994م في كتابه الفِهرست ضمنَ قائمة بأسماء جماعةٍ من الأطباء القدماء، هم "اصطفن، وجايوس، وانقيلاوس، ومارينوس، وهؤلاء إسكندرانيون، وهم ممَّن فسَّروا كتبَ جالينوس وجمعوها واختصروها وأوجزوا القولَ فيها، ولا سِيَّما كتب جالينوس السِّتَّةَ عشر" (ابن النديم 1978: 407).

وورد ذكرُهُ عند عبدِ اللطيف البغداديّ (557 هـ/ 1162م– 629هـ/1231م)، الذي عَلَّقَ على عمل أبوقراط "تقدمة المعرفة"؛ إذ يقولُ إنَّ چيسيوس "قد وصف أبوقراط شارح كلام جالينوس"، وهذا يؤكِّدُ أنَّ چيسيوس قد ألَّفَ مُصَنَّفًا تضمَّنَ تعليقاتٍ على كتاب أبوقراط هذا (Joosse and Pormann 2012 vol. 8: 254).

كما ذَكَرَهُ ابنُ القفطيّ (568 هـ/ 1172م– 646 هـ / 1248م)، الذي يقول "والإسكندرانيون هم الذين رتَّبوا بالإسكندريَّة دارَ العلم ومجالسَ الدرس الطبيّ، وكانوا يقرأون كتبَ جالينوس ويرتِّبونها على هذا الشكلِ الذي يُقرأ اليومَ عليه، وعملوا لها تفاسيرَ وجوامعَ تختصِرُ معانيها وتُسهِّلُ على القارئ حفظَها وحملَها في الأسفار، فأوَّلُهُم –على ما رَتَّبَهُ إسحقُ بن حنين– اصطفن الإسكندرانيّ، ثمَّ جاسيوس وانقيلاؤس ومارينوس، فهؤلاء الأربعة عمدةُ الأطباء الإسكندرانيّين وهم الذين عملوا الجوامعَ والتفاسير" (ابن القفطي 1903: 71).

وتطرَّقَ له ولإنجازاته ابنُ أبي أصيبعة (600هـ / 1203 م– 668 هـ/ 1270م) في معرض حديثة عن مدرسة الإسكندريَّة الطبيَّة؛ حيث قال: "وأجودُ ما وجدتُ من ذلك تفسير جاسيوس للسِّتَّةَ عشر، فقد أبان فيها عن فضلٍ ودرايةٍ" (ابن أبي أصيبعة 1998: 137)، وَعَدَّهُ ابنُ أبي أصيبعة من بين أبرز الأطباء المشهورين بعد وفاة جالينوس الذين فسَّروا كتبَ جالينوس السِّتَّةَ عشر وجمعوا واختصروا وأوجزوا القولَ فيها (ابن أبي أصيبعة 1998: 113، 115)، كما يذكرُ أنَّ حُنين بنَ إسحق قد كتب مؤلَّفًا عنه بعنوان "حلّ بعض شكوك جاسيوس الإسكندرانيّ على كتاب الأعضاء الآلمة لجالينوس" (ابن أبي أصيبعة 1998: 272، 274).

[18] (425 – 491م).

دوساريوس البتراويّ

ولا نعرفُ عن هذا الفيلسوف كثيرًا، واسمُهُ اليونانيُّ Δουσάριος[19] هو المقابلُ العربيُّ لاسم ذي الشَّرى، كبيرِ الآلهةِ عند الأنباط ومعبودِ البتراء الرئيسِ خلال الفترة النبطيَّة، وقد نُسِبَ إلى البتراء في إشارةٍ وردت عند أمونيوس (445/435–526/517م)، الذي عَلَّقَ على كتابات أرسطو؛ حيث اقتبسَ منه أمونيوس حُجَّةً مفادها أنَّ "أسماءنا يجب أن تكون طبيعيَّة؛ لأنَّ لاستخدامها في الصَّلواتِ وأوقاتِ البلاءِ تأثيرًا في الشخص المُسَمَّى" (Ammonius 2013: 38.25)، ونعرفُ من أحد المصادر التاريخيَّة أنَّهُ شارك في نقاشٍ حواريٍّ عن اللُّغة (Geiger 2013: Appendix D2)، ولا نعرفُ مكانَ ميلادِهِ وتاريخَهُ أو مكانَ وفاتِهِ وتاريخَهُ أو مؤلَّفاتِهِ التي ضاعت.

الخاتمة

تناولت الدراسةُ مجموعةً من الفلاسفة السفسطائيّن المنتسبين إلى البتراء، إضافةً إلى طبيبٍ واحدٍ اسمُهُ چيسيوس، سُمِيَّ نسبةً لمنطقة چايا (الجي– وادي موسى) الواقعةِ عند مدخل مدينة البتراء الأثريَّة، ويتَّضِحُ من خلال هذا السرد وجودُ عددٍ لا بأس به من الفلاسفة والمفكّرين والعلماء المنسوبين إلى مدينة البتراء صراحةً في المصادر التاريخيَّة، ولكنهم لم يعيشوا فيها، بل العديد من مناطق الإمبراطوريتين الرومانيَّة والبيزنطيَّة، فاشتغل بعضُهم في أثينا والإسكندريَّة، وزار بعضُهم بلادَ الشام وتنقَّلوا فيها، وقد تَسَمّى هؤلاء الرُّوّاد بأسماء يونانيَّة، وكتبوا أعمالَهم التي ضاعت ولم تصلنا باللُّغة اليونانيَّة أيضًا، وكانوا –على ما يبدو– على دراية بالفلسفة اليونانيَّة ومذاهبها، وكان غالبيتُهم من أتباع المذهب السفسطائيّ.

ويؤكِّدُ وجودُ هذا العدد من الفلاسفة المنتسبين إلى البتراء وغيرهم من الفلاسفة العرب الذين ذكرتهم المصادرُ الرومانيَّةُ والبيزنطيَّةُ أنَّ معرفةَ العرب بالفلسفة اليونانيَّة كانت مبكِّرةً جدًّا، وأنَّها تسبقُ قدومَ الإسلام بقرونٍ عديدةٍ، كما تؤكِّدُ بما لا يَدَعُ مجالًا للشكِّ أنَّ العربَ القدماءَ قد اطَّلعوا، بشكلٍ مُعمَّقٍ ومستفيضٍ، على المذاهب الفلسفيَّة اليونانيَّة القديمة المختلفة، وتأثَّروا بها وألَّفوا فيها الكتبَ، وَعَلَّقوا على بعض ما كتبَهُ الفلاسفةُ والأطباءُ الإغريق، وكان لهم دورٌ واضحٌ في نشر المذاهب الفلسفيَّة والفكريَّة، وسبقوا بقرونٍ عديدةٍ الكِنديَّ الذي يَعُدُّهُ المؤرِّخونَ أوَّلَ فيلسوفٍ عربيّ.

وعلى الرَّغم من أنَّ عددًا من السفسطائيّن والمفكّرين المنسوبينإ ى اللبتراء، الذين تناولتهم هذه الدراسة، قد أقاموا خارج البتراء، فإنَّ بعضَهم، وعلى رأسهم السفسطائيُّ والخطيبُ البتراويُّ إپيفانيوس الذي عاشَ في القرن الرابع الميلاديّ، لم يَنْسَوا مدينَتَهُم الأُم؛ إذ دَرَّسَ إپيفانيوس البلاغةَ فيها، كما يذكرُ صاحبُ كتاب "سودا"، الأمرُ الذي يؤكِّدُ أنَّ البلاغةَ والفلسفةَ كانتا من الموضوعات التي تُدَرَّسُ في مدينة البتراء خلالَ تلك الفترة، ولربَّما كانت الفلسفةُ تُدَرَّسُ فيها إبّانَ الفترة النبطيَّة؛ إذ يذكرُ سترابو في كتابه "الجغرافيا" أنَّ صديقَهُ ورفيقَهُ "الفيلسوفَ أثينودوروس قد عاش بين سكان البتراء" (Strabo 1960 vol. XVI: *Geography* XVI.4.21) ، ولا نعرفُ مُدَّةَ إقامته التي كانت خلالَ القرن الأول قبل الميلاد، كما لا نعرفُ سَبَبَها، ولكنَّها قد تكون مرتبطةً بتدريسه الفلسفةَ في هذه المدينة.

[19] استمرَّ هذا الاسمُ مُستَخدَمًا في البتراء بعد انتهاء الحكم النبطيّ؛ حيث استُخدِمَ اسمَ عَلَمٍ في برديات البتراء التي تعودُ للفترة البيزنطيَّة (Frösén 2004 vol. 8: 144).

Philosophers and Scholars Attributed to Petra in Classical Sources

*Zeyad Mahdi Al-Salameen**

ABSTRACT

The paper sheds light on a group of philosophers and scholars associated with Petra, despite the fact that most of them did not live there. They include: Gaius, Callinicus, Genethlius, Epiphanius, Gessius, and Dousarius. These pioneer scholars, whose works have unfortunately been lost, bore Greek names, wrote in Greek and were apparently followers of the sophistry doctrine. The research is based on a number of Roman and Byzantine sources. Among them is the Suda Lexicon, an encyclopedia dating back to the tenth century AD, based on several classical sources. These sources show that the Arab's knowledge of Greek philosophy predates Islam by a significant period of time and confirm that some Arabs studied philosophical works thoroughly before Islam and played a significant role in disseminating certain philosophical and intellectual doctrines.

Keywords: *Roman and Byzantine Petra, Petra in the Greek sources, Sophists, Pre-Islamic Arabian Philosophy, Petra Scholars*.

*Email: zeyad.alsalameen@mbzuh.ac.ae, (Zeyad Mahdi Al-Salameen) Orcid number: https://doi.org/10.35516/jjha.v18i3.1735, Professor, College of Arts and Humanities, Mohamed Bin Zayed University for Humanities.

Received on 10/9/2023 and accepted for publication on 26/12/2023.

المصادر والمراجع العربية

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين (ت 668 هـ/ 1270م) (1998)؛ *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، ضبطه وصحَّحه ووضع فهارسَهُ محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلميَّة.

ابن إسحق، حنين (ت 260 هـ/ 873م) (1379 هـ)؛ *رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى في ذكر ما تُرجِمَ من كتب جالينيوس*، تحقيق مهدي محقّق، طهران: مؤسَّسة مطالعات إسلامي.

ابن القفطي، جمال الدين أبي الحسن، علي بن يوسف (ت 646 هـ/ 1248م) (1903)؛ *تاريخ الحُكماء*، لايبزك.

ابن النديم، محمد بن إسحق (ت 384 هـ/ 994م) (1978)؛ *الفِهرست*، بيروت: دار المعرفة.

البكر، منذر (1971)؛ "إيمبولس: الكاتب العربي الطوبائي". *المورد*، مج1، ع 1–2، ص 9–12.

البني، عدنان (1990)؛ *أبولودور الدمشقي: أعظم معماري في التاريخ القديم*، دمشق: وزارة الثقافة والأعلام.

الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462 هـ/ 1070م) (1912)؛ *كتاب طبقات الأُمم*، نَشَرَهُ وذيَّلَهُ بالحواشي وأردَفَهُ بالروايات والفهارس لويس شيخو، بيروت: المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين.

بهنسي، عفيف (2014)؛ *التراث الأثري السوري*، دمشق: الهيئة العامَّة السوريَّة للكتاب.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/ 868م) (2017)؛ *البيان والتبيين*، تحقيق حسن السندوبي، المملكة المتَّحدة: مؤسَّسة هنداوي.

الجمّال، سمير (1997)؛ *تاريخ الطبِّ والصيدلة المصريَّة: العصر اليوناني – الروماني*، ج 2، القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب.

داماسكيوس (2016)؛ *حياة إيزيدور أو التاريخ الفلسفي*، نَقَلَهُ إلى العربيَّة عادل الديري، مراجعة وتعليق تيسير خلف، بيروت، دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

ريه، حافظ (2015)؛ "الخطابة السفسطائيَّة بين الإزراء والإطراء"، *المخاطبات*، عدد 15، ص:183–218.

الزهري، حسين (2015)؛ *مدرسة الإسكندريَّة المتأخِّرة وأثرها في التراث الفلسفي الإسلامي (1) أمونيوس بن هرمياس وأثره في فلسفة الفارابي*، مصر: مكتبة الإسكندريَّة.

السلامين، زياد، والقنانوة، إخلاص (2021)؛ *الطوبونيميا النبطيَّة: دراسة في أسماء المواقع الجغرافيَّة في ضَوءِ المصادر التاريخيَّة ومخطوطات البحر الميِّت*، عمّان: مطبعة السفير.

الشامي، أنس (2014–2015)؛ "*الحياة الثقافيَّة الأدبيَّة في سوريَّة في العصر الروماني من 64 ق.م– 313م*"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، سوريا.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (548 هـ/ 1153 م) (1993)؛ *المِلَل والنِّحَل*، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، بيروت: دار المعرفة.

لالاند، أندريه (2001)؛ *موسوعة لالاند الفلسفيَّة*، ترجمة خليل أحمد خليل، المجلد الثالث، بيروت، باريس: منشورات عويدات.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م) (1418 هـ)؛ *المواعظ والاعتبار بذكر الخُطط والآثار*، بيروت: دار الكتب العلميَّة.

نيهاردت، أ. أ. (1994)؛ *الآلهة والأبطال في اليونان القديمة*، ترجمة هاشم حمادي، دمشق: دار الأهالي للنشر والتوزيع.

REFERENCES

גייגר، יוסף (1992)؛ "נואמים יוונים בארץ-ישראל" . *קתדרה: לתולדות ארץ ישראל ויישובה*، חוברת 66 ، 47-56.

Altheim, F. and Stiehl, R. (1964); *Die Araber in der alten Welt*, vol. I., Berlin: Duncker & Humblot.

Andrade, N. (2018); *Zenobia: Shooting Star of Palmyra*, Women in Antiquity, Oxford: Oxford University Press.

Amato, E. (2010); *Rose di Gaza: gli scritti retorico-sofistici e le epistole di Procopio di Gaza*, Edizioni dell'Orso, Alessandria.

Ammonius (2013); *On Aristotle: On Interpretation 1-8*, David Blank trans., London, New Delhi, New York and Sydney: Bloomsbury.

al-Andalusī, Abū al-Qāsim Ṣā'id ibn Aḥmad (d. 462 A.H./ 1070 A.D.) (1912); *Kitāb Ṭabaqāt al-Umam*, Louis Cheikho ed., Beirut: al-Maṭba'ah al-Kāthulīkīyah lil-Ābā' al-Yasū'iyīn.

Arjava, A.; Frösén, J. and Kaimio, M. (eds.) (2018); *The Petra Papyri, vol. V*, Amman: American Center of Oriental Research Publications 8.

Ashkenazi, J. (1996); "Church Involvement in Medical Services in Byzantine Eretz-Israel". In: *Illness and Healing in Ancient times.* Exhibition Catalogue, no. 13, Pp. 46-51, the Reuben and Edith Hecht Museum, University of Haifa.

Athanassiadi, P. (1999); *Damascius: The Philosophical History: Text with Translations and Notes*, Athens: Apamea Cultural Association.

Bahnasī, 'Afīf (2014); *al-Turāth al-Atharī al-Sūrī* [The Syrian Archaeological Heritage, Damascus: al-Hay'ah al-'Āmah al-Sūrīyah lil-Kitāb.

al-Bakr, Mundhir (1971); "Impulse: al-Kātib al-'Arabī al-Ṭubā'īy" [Impulse: The Arab Utopia Writer], *al-Mawrid*, vol. 1, no. 1-2, Pp. 9-12.

Bowersock, G. W. (1983); *Roman Arabia*, Cambridge, Mass.: Harvard University Press.

Broux, Y. and Coussement, S. (2014); "Double Names as Indicators of Social Stratification in Graeco-Roman Egypt", in: *Identifiers and Identification Methods in the Ancient World: Legal Documents in Ancient Societies III*, Depauw, M. and Coussement, S. eds., Leuven/Paris/Walpole: Peeters, Pp. 119-140.

al-Bunī, 'Adnān (1990); *Apulludur al-Dimashqī: A'ẓam Mi'mārī fī al-Tārīkh al-Qadīm*, Damascus: Wizārat al-Thaqāfah wa-al-I'lām.

Cribiore, R. (2007); *The School of Libanius in Late Antique Antioch*, Princeton: Princeton University Press.

Damāscius (2016); *Life of Isidore*, 'Ādil al-Dīrī trans., Taysīr Khalaf ed., Beirut-Damascus: Dār al-Takwīn lil-Ta'līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr.

Diodorus Siculus (1933); *Library of History*, vol.1, Books 1-234, Loeb Classical Library No. 279, C. H, Oldfather trans., London: Harvard University Press.

Eunapius (1921); *Lives of the Philosophers and Sophists*, Wilmer Cave Wright trans., Early Church Fathers. Tertullian Organization, https://www.tertullian.org/fathers/eunapius_02_text.htm

Förster, R. (1921); *Libanii Opera*, vols. X-XI, Leipzig: Teubner.

Frösén, J. (2004); "Archaeological Information from the Petra Papyri". *Studies in the History and Archaeology of Jordan*, vol. 8, Pp:141-144.

Geiger, J. (1994); "Notes on the Second Sophistic in Palestine". *Illinois Classical Studies*, vol. 19, Pp. 221-230.

Geiger, J. (2013); *Hellenism in the East: Studies on Greek Intellectuals in Palestine*, Stuttgart: Franz Steiner Verlag.

Gertz, S.; Dillon, J.; and Russell, D. (2013); *Aeneas of Gaza: Theophrastus with Zacharias of Mytilene: Ammonius*, Series Ancient Commentators on Aristotle, Bristol Classical Press, 112.

Glorie, F. (ed.) (1964); *Commentariorum in Danielem libri III*, Turnhout.

Haase, F. A. (2011); "Lost Rhetoric Found. Non-Extant Rhetorical Handbooks of Rhetoricians and Sophists from the Pre-Platonic Time until Late Hellenism as Literary Sources in Suda". *Ágora. Estudos Clássicos em debate*, 13, Pp. 9-44.

Heath, M. (2004); *Menander: A Rhetor in Context*, New York: Oxford University Press Inc.

Ibn Abī Uṣaybi'ah, Aḥmad ibn al-Qāsim ibn Khalayfah ibn Yūnis al-Khazrajī Muzfaq al-Dīn (d. 668 A.H./ 1270 A.D.) (1988); '*Uyūn al-Anbā' fī Ṭabaqāt al-Aṭibbā'*, Muḥammad Bāsil 'Uyūn al-Sa'ūd ed., Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Ibn Isḥāq, Ḥuayn (d. 260 A.H./ 873 A.D.) (1379A.H.); *Risālat Ḥunayn ibn Isḥāq ibn Yaḥyā fī Dhikr mā Turjima min Kutub Jalīniōs*, Maḥdī Muḥaqq ed., Tehran: Mu'assasat Muṭāla'āt Islāmī.

Ibn al-Nadīm, Muḥammad ibn Isḥāq (d. 384 A.H./ 994 A.D.) (1978); *al-Fihrist*, Beirut: Dār al-Ma'rifah.

Ibn al-Qifṭī, Jamāl al-Dīn Abī al-Ḥasan, 'Alī ibn Yūsuf (d. 646 A.H./ 1248 A.D.) (1903); *Tārīkh al-Hukamā'*, Leipzig.

Isaac, B. (2011); Attitudes Towards Provincial Intellectuals in the Roman Empire, in: *Cultural Identity and the Peoples of the Ancient Mediterranean*, Erich Gruen ed., Los Angeles: The Getty Research Institute, Pp. 491-518.

Jacoby, Felix (1999); *Die Fragmente der griechischen Historiker Continued. Part IV. Biography and Antiquarian Literature. – A, Biography, Fasc. 7, Imperial and Undated Authors*, Stefan Schorn and David Engels eds., Leiden: Brill.

al-Jāḥiẓ, Abū 'Uthmān 'Amrū ibn Baḥr (d. 255 A.H./ 868 A.D.) (2017); *al-Bayān wa-al-Tabyīn*, Ḥasan al-Sandūbī ed., al-Mamlakah al-Mutaḥidah: Mu'assasat Hindāwī.

al-Jammāl, Samīr (1997); *Tārīkh al-Ṭibb wa-al-Ṣaydalah al-Maṣrīyah: al-'Aṣr al-Yūnānī –al-Rūmānī*, vol. 2, Cairo: al-Hay'ah al-Maṣrīyah al-'Āmah lil-Kitāb.

Joosse, N., P. and Pormann, P. E. (2012); " 'Abd al-Laṭīf al-Baġdādī's Commentary on Hippocrates' 'Prognostic': A Preliminary Exploration". in: *Epidemics in Context Greek Commentaries on Hippocrates in the Arabic Tradition*, vol. 8, Pp. 251-284, Berlin and Boston: Peter E. Pormann, Walter de Gruyter eds.

Josephus, F.(1926); *Jewish Antiquities,* H. St. Thackeray, and R. Marcus trans., London: William Heinemann.

Juvenal (2017); *Juvenal Satires*, Taylor Anderson ed., CreateSpace Independent Publishing Platform.

Kraeling, C. H. (1938); *Gerasa, City of the Decapolis*, New Haven, Connecticut: American Schools of Oriental Research.

Kessel, G. (2012); "The Syriac Epidemics and the Problem of its Identification". in: *Epidemics in Context Greek Commentaries on Hippocrates in the Arabic Tradition*, Peter E. Pormann, ed., Berlin and Boston: Walter de Gruyter, Pp. 93-124.

Lalande, André (2001); *Mawsū'ah al-Falsafīyah* [The Encyclopedia of Philosophy], Khalīl Aḥmad Khalīl trans., 3rd vol., Beirut-Paris: Manshūrāt 'Uydāt.

Luz, Menahem (2003); "The Cynics of the Decapolis and Eretz Israel in the Hellenstic Period". In: *Jews and Gentiles in the Holy Land in the Days of the Second Temple, the Mishna and the Talmud*, Menachem Mor; A. Oppenheimer; J. Pastor and D.R. Schwartz eds., Pp. 97-107, Jerusalem: Yad Ben-Zvi Press.

al-Maqrīzī, Taqī al-Dīn Aḥmad ibn ʻAlī (d. 845 A.H./ 1441 A.D.) (1418 A.H.); *al-Mawāʻiẓ wa-al-Iʻtibār bi-Dhikr al-Khiṭaṭ wa-al-Āthār*, Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah.

Martin, J. and Petit, P. (eds.) (1978); *Libanios. Tome I: Discours I. Autobiographie*, (Discours 1), Paris: Les Belles Letters.

Montanari, F. (2015); *The Brill Dictionary of Ancient Greek*, Leiden: Brill.

Negev, A. (1991); *Personal Names in the Nabataean Realm*, Qedem, vol. 32, Jerusalem: The Hebrew University of Jerusalem.

Nehmé, L. (2018); "Les artisans et professions "libérales" dans le domaine nabatéen", in: To the Madbar and Back Again. Studies in the Languages, Archaeology, and Cultures of Arabia Dedicated to Michael C.A. Macdonald, *Studies in Semitic Languages and Linguistics*, L. Nehmé and A. Al-Jallad eds., vol. 92. Leiden and Boston, Pp. 3–25.

Niehārdt, A. A. (1994); *al-Ālihah wa-al-Abṭāl fī al-Yūnān al-Qadīmīyah*, Hāshim Ḥamādī trans., Damascus: Dār al-Ahālī lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

Pernot, L. (2010); "Callinicos de Pétra, sophiste et historien". *Revue des Études Grecques*, tome 123, fascicule 1, Pp. 71-90.

Pernot, L. (2017); Greek and Latin Rhetorical Culture, in: *The Oxford Handbook of the Second Sophistic*, Daniel S. Richter and William A. Johnson eds., Pp. 205-216, Oxford, New York: Oxford University Press.

Philostratus, F. (1921); *Lives of the Sophists. Eunapius: Lives of the Sophists*, Loeb Classical Library No. 134, Wilmer C. Wright trans., London: Harvard University Press.

Porphyrius, Comments on the Book of Daniel, http://www.attalus.org/translate/daniel.html

Puech, B. (2002); *Orateurs et sophistes grecs dans les inscriptions d'époque impériale*, Paris: Librairie Philosophique J. Vrin.

Rīyah, Ḥāfiẓ (2015); "al-Khaṭābah al-Safasṭāʼīyah bayn al-Izdirāʼ wa-al-Iṭrāʼ" [Sophist Oratory Between Contempt and Praise. *al-Mukhatabāt Journal*, issue 13, Pp. 183-218.

Russell, D. A. (1983); *Greek Declamation*, Cambridge: Cambridge University Press.

al-Salāmīn, Ziyād; al-Qanānwāh, Ikhlāṣ (2021); *al-Ṭubunīmīyah al-Nabaṭīyah: Dirāsah fī Asmāʼ al-Mawāqiʻ al-Jughrāfīyah fī Ḍawʼ al-Maṣādir al-Tārīkhīyah wa-Makhṭūṭāt al-Baḥr al-Mayit*, [Nabataean Toponyms: A Study of the Geographical Place Names in Light of the Historical Sources and the Dead Sea Scrolls] Amman: Maṭbaʻat al-Safīr.

Sartre, M. (2005); *The Middle East under Rome*, Catherine Porter and Elizabeth Rawlings trans., Cambridge, London: Belknap Press of Harvard University Press.

Shahid, I. (2006); *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century*, Washington, D.C.: Dumbarton Oaks Research Library and Collection.

al-Shahrstānī, Abū al-Fatiḥ Muḥammad ibn ʻAbd al-Karīm (d. 548 A.H./ 1153 A.D.) (1993); *al-Milal wa-al-Naḥil*, Amīr ʻAlī Muhanā and ʻAlī Ḥasan Fāʻūr eds., Beirut: Dār al-Maʻrifah.

al-Shāmī, Anas (2014-2015); "*al-Ḥayāt al-Thaqāfīyah al-Adabīyah fī Sūrīyah fī al-ʻAṣr al-Rūmānī min 64 B.c.-313 A.D.*". Unpublished MA. Thesis, Qism al-Tārīkh, Kulliyat al-Adāb wa-al-ʻUlūm al-Insānīyah, Jamiʻat Dimashq.

Smith, W. (ed.) (2005); *A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology*, vol. II, Ann Arbor, Michigan: University of Michigan Library.

Socrates Scholasticus (2007); *The Ecclesiastical History*, NuVision Publications, LLC.
Sozomen (2018); The Ecclesiastical History of Sozomen: From AD 324 to AD 425, vol. 12, Evolution Pub & Manufacturing; Reprint edition.
Stephanus of Byzantium (2006); *Stephani Byzantii Ethnica*, vol. 1, Berolini et Novi Eboraci, De Gruyter.
Stern, M. (1980); *Greek and Latin Authors on Jews and Judaism, Vol. 2, from Tacitus to Simplicius*, Jerusalem: The Israel Academy of Sciences and Humanities.
Strabo (1960); *The Geography of Strabo*, vol. XVI, Jones H. trans., London: William Heinemann.
Suda (1928-1935); *Suidae Lexicon*, A. Adler ed., Leipzig, Teubner: K.G. Saur Munich.
Watson, A. (1999); *Aurelian and the Third Century*, London and New York: Routledge.
Watts, E. (2009); "The Enduring Legacy of the Iatrosophist Gessius". *Greek, Roman, and Byzantine Studies*, vol. 49, Pp.: 113–133.
al-Zahrī, Ḥusayn (2015); *Madrasat al-Iskandarīyah al-Muta'akhirah wa-Atharuha fī al-Turāth al-Falsafī al-Islāmī (1) Amouniyou ibn Harmiyās wa-Atharuh fī Falsafat al-Farābī*, Miṣr: Maktabat al-Iskandarīyah.